الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة زيان عاشور بالجلفة
كلية الآدب واللغات والفنون

دروس موجهة إلى طلبة السنةأولى ماستر(لسانيات الخطاب)

النّحو الوظيفي

السداسي:الأول

إعدادالأستاذ :عمر رتيمي

السنة الجامعية : 2023/2022

عنوان الماستر: لسانيات الخطاب

السداسي: الأول

وحدة التعليم الأساسية

اسم المادة : النحو الوظيفي -1-

الرصيد: 05

المعامل: 03

- **أهداف التعليم :**

تكوين قاعدة معرفية تؤهل الطالب لتحصيل معرفة نظرية وعملية في مجال نظرية النحو الوظيفي انطلاقا من منابعها الأصلية عند سيمون ديك، ثم في تمثلاتها العربية مع مشروع أحمد المتوكل، وذلك بهدف التعرف على النظرية بشكل أعمق، مع إمكانية استثمار مفاهيمها ورؤاها في الدراسات اللغوية العربية.

- **المعارف المسبقة المطلوبة :**

معرفة الطالب المسبقة بمفاهيم لسانيات النص وتحليل الخطاب، وأهم النظريات الدائرة في لسانيات ما بعد الجملة ، بالإضافة إلى معرفته النظرية والعملية بمستويات التحليل النحوي والبلاغي.

مفردات المادة (محاور المحاضرات) :

المحاضرة الأولى:نموذج هايمز من الواقعية التركيبية إلى الواقعية النفسية

المحاضرة الثانية: نظرية النحو الوظيفي بين التأسيس والتأصيل

المحاضرة الثالثة: بين الوظيفة والوظيفية

المحاضرة الرابعة: موضوع البحث في حقل نظرية النحو الوظيفي

المحاضرة الخامسة:القدرة التواصلية وضوابط الوصف اللغوي

المحاضرة السادسة: تنظيم مستعمل اللغة الطبيعية ومشروع النحو القالبي

المحاضرة السابعة: القالب النحوي وخصوصياته في تمثيل اللغة

المحاضرة الثامنة: الجهاز الواصف في نظرية النحو الوظيفي، البنية الحملية

المحاضرة التاسعة:الجهاز الواصف في نظرية النحو الوظيفي، البنية المكونية

المحاضرة العاشرة:الجهاز الواصف في نظرية النحو الوظيفي، البنية الوظيفية

المحاضرة الحادية عشر: النظرية القالبية وتطبيقاتها في الاستعمال اللغوي

المحاضرة الثانية عشر:نحو الخطاب الوظيفي

المحاضرة الثالثة عشر:النحو الوظيفي المقارن

المحاضرة الرابعة عشر:إسهامات المدرسة العربية في النحو الوظيفي تنظيرا وتطبيق

مقدمة :

إن البحث في مثل هذا الجانب من الدراسة ، و المتعلق بإعداد وجمع دروس مقياس (النحو الوظيفي) يقودنا لا محالة إلى إعادة الحديث السابق في درس اللسانيات عن تبعية أبنية اللغة لوظائفها ، و هو الأمر الذي سنسوق جلّ الكلام عليه ، فلا يختلف اليوم باحثان في أن غاية اللغة و موضوعها بكل أنساقها و أنظمتها هو التبليغ و التواصل .

و لعل أبرز ما نقدمه ههنا هو التمثل الصحيح للمنحى الوظيفي للخطاب ،و من ثم الاستفادة من كثير إجراءاته في الممارسة التطبيقية على الخطاب عموما ، خاصة فيما يتعلق بقضايا النحو الوظيفي ومدارسه و أعلامه، مما يجعل الدارس بين نماذج تبسيطية تعينه على استكناه بعض المسائل اللغوية في إطارها الوظيفي .

و لقد كان اعتمادنا على جهود الأستاذ الباحث(أحمد المتوكل) إذ سنركز على أهم ما قدّمه، و هو باحث مغربي صدر له لحدالآن أزيد من عشرين مؤلّفا باللغة العربية و الفرنسية و الإنجليزية ، عن الدرس الوظيفي و أهم ممارساته ، و سنقدّم له من خلال كتبه :

- اللسانيات الوظيفية – مدخل نظري .
- الخطاب وخصائص اللغة العربية – دراسة في الوظيفة و البيئة و النمط .
- الوظائف التداولية في اللغة العربية .
- مسائل النحو العربي – في قضايا نحو الخطاب الوظيفي .

وغيرها من الدراسات التي استطاعت أن تقرّب مفاهيم هذا الموضوع ، وأن تبسط تفاصيله الغربية إلى الباحث العربي في كل مستوياته البحثية .

من هنا يتأسس الحديث في هذا المقياس (النحو الوظيفي) عن أهم المحاور التي أرساها هذا الأخير من خلال توسيع العديد من المفاهيم ، وتحديد أغلب خصائصه التي يمكن في الكثير من الأحايين أن تمدّ الدرس اللساني المعاصر بإسهامات أصحاب هذا الاختصاص وغيره ، سواء في مراحله التأسيسيةمع دي سوسير و أتباعه في ضبط حاصل التطورات الأساسية الكبرى ضمن حقل اللسانيات عموما ثم ما كان من بعد ذلك من تلامذته .

لذا فجدير بالذكر أن تتصف هذه المحاضرات بالدقة والتركيز، والتفصيل والنمذجة، مما يجعل العمل متاحا لطلبة العلم في هذا المستوى (السنة الأولى ماستر) دون المطالع والمتوسّع ، ولعل القدر الذي نكتفي به في بعض المرات يكون كفيلا بالتمثيل عن النظرية أو الرأي دون التطبيق و الإجراء .

المحاضرة الأولى: نموذج ديل هايمز من الواقعية التركيبية إلى الواقعية النفسية

تمهيد :

نحاول في هذه المحاضرة التعرف على مشروع من أهم المشاريع اللغوية التي أراد من خلاله صاحبه بحث سبل الدراسة الاجتماعية للغة ضمن حلقة الاهتمام السائد بالتحليل السوسيولساني، وهو المتمثل في جهود ديل هايمز.

فمن هو ديل هايمز؟ وما أهمّ روافد مشروعه اللغوي ؟ ثمّ إلى أيّ مدى يمكن الاستفادة من دراسته في ظل البحث الوظيفي للغة ؟ .

1/ ديل هايمز:

ديل هايمز من مواليد يوم7 جوان سنة 1927 فى مدينة بورتلاند فى ولاية اوريجون,الأمريكية ،مات فى 13 نوفمبر سنة.2009 .

ويمكننا اختصار مجمل ما عناه هايمز في مشروعه من خلال هذا البحث المقدّم بقلم الباحث عز الدين البوشيخي في مقال بعنوان (لسانيات النص في ضوء نظرية النحو الوظيفي الخطابي) وهو بحثٌ قُدّم في مؤتمر " لسانيات النص وتحليل الخطاب " 22-24 مارس 2010 ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية . جامعة ابن زهر، أكادير.المغرب : " ... تكمن أطروحة هايمز (1982، 12) في ضرورة توسيع مجال اللسانيات ليشمل مظاهر تداولية وخطابية ونصية، ولكن ذلك لا يمكن أن يتم - في نظره - بصورة معقولة طالما ظل موضوع التحليل هو اللغة خارج سياقها، وطالما ظل هدف التحليل هو تحديد الممكن نسقيا (نحويا) في لغة من اللغات، وطالما ظل التحليل منصبا على وظيفة واحدة من الوظائف الأساسية المدروج على تعيينها بالوظيفة الإحالية أو المعرفية، وطالما ظل النحو هو الإطار المرجعي الذي تدرس داخله اللغة .وبعبارة، يقتضي توسيع مجال اللسانيات تجديد النظر على أسس نقدية في موضوع النظرية اللسانية وأسسها وأهدافها. وفيما يلي بيان ذلك.

- **عن ثنائية القدرة والإنجاز:**

من المؤكد أن الكيفية التي استعمل بها تشومسكي مصطلح القدرة جعلت منه مصطلحا مهيمنا. ولأن هذا المصطلح ارتبط - أول ما ارتبط - بالنحو فقط، فإن عناية معظم الباحثين لم تتجه إلى شيء آخر

غير القدرة النحوية. وكان ذلك أمرا مُرادا. فقد عمد تشومسكي- في مرحلة أولى - إلى إقصاء التفكير في افتراض قدرة غير نحوية لتحقيق هدفين اثنين:

أ - ترسيخ فكرة إقامة فرق حقيقي بين نسق تحتي هو النحو وبين سلوك فعلي هو الإنجاز.

ب - وتأكيد أن القدرة النحوية هي وحدها الكفيلة بأن تشكل الأساس الضروري لدراسة استعمال اللغة أو إقامة نموذج الإنجاز (هايمز 1994: 80). وقد سلك من أجل ذلك طريقتين اثنتين على الأقل: تتمثل الأولى في استعمال مصطلح الإنجاز استعمالا ملتبسا. وتتمثل الثانية في الإيهام بأن اعتماد التجريد لا ينجم عنه إلا افتراض قدرة نحوية"[1] .

وهنا جدير بالذكر أيضا أن يراعى في هذا الصدد ما يستدل على أن مفهوم القدرة التواصلية الذي قدمه هايمز يعتبر الأكثر تطورا لأنه استدل على أن مفهوم القدرة ينبغي أن يتوسع ليشمل الاستعمال اللغوي إضافة إلى خلق الجملة .

هذا عن القدرة أما الإنجاز فيتساءل هايمز عن فحواه :" أهو معطيات السلوك الكلامي؟ أم كل ما يثوي خلف الكلام باستثناء النحو؟ أم كلاهما؟ " [2]

وهنا يحتكم هذا التساؤل إلى ما مراده البحث عن القواعد التي من شأنها أن تحكم الاستعمال .

وفي ظل نقد هايمز لنظرية تشومسكي عن القدرة والإنجاز ، يضيف إلى ذلك دعاوي تشومسكي في انصرافه عن القول بقواعد الاستعمال ، مما يتيح له في الأخير الاعتراف بها تحت طائل المسمى بالقدرة التداولية " لقد تجنب تشومسكي -في مرحلة أولى- الحديث عن تخصيص قواعد الإنجاز الأسلوبية أو قواعد استعمال اللغة بمصطلح قدرة تحتية من نوع آخر، وذلك بهدف ترسيخ فكرة مفادها أن استعمال اللغة ليس إلا تحقيقا ناقصا لنسق تحتي. وبعد أن كُسب هذا الرهان، لم يجد تشومسكي بأسا من بحث العلاقة بين قواعد النحو وقواعد الاستعمال، ومن الاعتراف بوجود "قدرة تداولية" إلى جانب القدرة النحوية (هايمز 1973 :78 و79) . وأما اعتماد التجريد فلا يفسر في شيء اعتبار القدرة اللغوية موضوعا أساسيا جديرا بالدراسة، واعتبار كل ما يتعلق باستعمالها شأنا هامشيا. ذلك لأن الاقتصار على دراسة القدرة اللغوية (القدرة النحوية) ليس أمرا ناجما عن التزام التجريد، بل هو اختيار شخصي وحسب. إذ يمكن - ولا مانع من ذلك - اعتماد التجريد في دراسة قدرة أشمل تكون القدرة النحوية مجرد مكون من مكوناتها، وليس مكونا أساسا جديرا -دون غيره- بأن يشكل موضوع النظرية اللسانية. ولكن تشومسكي تدرع بهما لإقصاء كل الأفكار المعارضة بتقديمها على أنها تنكر

---

[1]- عز الدين البوشيخي : مقال بعنوان " لسانيات النص في ضوء نظرية النحو الوظيفي الخطابي " بحث مقدم لمؤتمر " لسانيات النص وتحليل الخطاب " 22-24 مارس 2010 ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية . جامعة ابن زهر، أكادير . المغرب

[2]- المرجع نفسه .

أهمية التجريد في تقدم المعرفة العلمية ولا تعمل وفق مقتضياته، ولسد الطريق أمام تصورات مغايرة لموضوع النظرية اللسانية ومنهج معالجته (هايمز1982: 132و133)" [3].

وإذا كان الأمر كذلك فإن ما يتعلق بالأساس من اختلاف جوهري بين المعرفة اللسانية واستعمال اللغة " فتشومسكي مثلا يميز بين القدرة النحوية و المعرفة التي يمتلكها المتكلم الفطري المؤمثل the idealized native speaker والإنجاز performance، محيلا على المعطيات اللسانية الحالية . واستنادا إلى تشومسكي ، يمكن النظر إلى القدرة اللسانية على أنها وظيفة بيولوجية فطرية للذهن تجيز للأفراد إنتاج مجموعة لا محدودة من الجمل التي تكوّن لغته ... وباعتبار المقاربة السوسيوثقافية للغة كنقطة بداية ، فإن المفهوم الأكثر تطورا للقدرة التواصلية هو ذلك الذي قدمه هايمز " [4] .

من هنا يمكننا اعتبار تشومسكي أنه " لم يُقَدم نظرية عن حقيقة القدرة والإنجاز، وإنما قدم عنهما فرضيات مصوغة بلغة مجازية: إنه يتحدث عن القدرة ويقصد النحو (بمعناه الضيق)، ويتحدث عن الإنجاز ويقصد تجلياته النفسية، بل حين يتحدث عن الاستعمال الخلاق للغة أو مناسبة القول للمقام يقصر تحليله على مستوى التركيب ويتحاشى تحليل السياق الاجتماعي (هايمز18 : 1973). كل ذلك يصور المتكلم حرا في أن يقول ما تمكنه اللغة من قوله غير مقيد بالمقام التواصلي، ولا معتمد على شيء في اختيار هذا القول دون غيره، حتى إن الظن ليذهب إلى اعتبار أن القدرة النحوية توازي -في منظور تشومسكي- عدم القدرة التواصلية (هايمز 139:1982) " [5].

أما عن الجزئية الثانية بعد القدرة والإنجاز فهي تلك المتعلقة باللغة والاستعمال ، وهنا مناط القول فيه ما اصطلح عليه هايمز باللسانيات الواقعية اجتماعيا ، حيث تكون الخصائص اللغوية والمقاييس الاجتماعية متناسبة إلى حد بعيد .

- **عن اللغة والاستعمال[6] :**

لقد تنقلت اللسانيات عبر مراحل تطورها من العناية بالدراسة الصوتية والصرفية إلى العناية بالتركيب ثم بالدلالة. وفي كل مرحلة كانت تنكشف مظاهر جديدة تساهم إلى جانب المظاهر الأخرى في بنينة اللغة. وكان على اللسانيات أن تتابع تطورها في اتجاه بحث العلاقة بين بنية اللغة وبين مختلف استعمالاتها لا سيما أن جهودا سابقة - كجهود أعلام مدرسة براغ وفورثوبايك وغيرهم - كانت مهدت وساهمت في بحث هذا الموضوع (هايمز 1973: 19). ومع أن النظرية التوليدية - التي انحرفت

---

[3]- المرجع نفسه .

[4]- فلوريان كولماس : دليل السوسيولسانيات – تر: خالد الأشهب وماجدولينالنهيبي – المنظمة العربية للترجمة – توزيع مركزدراسات الوحدة العربية – بيروت /2009

[5]- عز الدين البوشيخي : المقال السابق .

[6]- المقال السابق .

عن هذا الاتجاه في البحث - هيمنت بقوة على ميدان اللسانيات إلا أنه سرعان ما أصبح يتضح لعدد متزايد من اللسانيين أن دراسة الجمل بمعزل عن سياقها الطبيعي وعن متكلميها اختيار منهجي استنفذت الحاجة منه، ولم يعد من اللائق العمل به، ذلك لأن عزل الجمل عن سياقها يثير شكوكا بخصوص واقعيتها من جهة، ويتجاهل دور السياق التواصلي في تحديد بنية هذه الجمل من جهة أخرى (هايمز1973 :13و19). فاللغة التي تصل إلى يد اللساني، وينصرف إليها بالوصف والتفسير ليست لغة بريئة من الاستعمال؛.إذ إن كل جملة موسومة بخصائص أسلوبية واجتماعية.

وعليه، فإن المعطيات المعتمدة - سواء أكانت ملفوظات أم أحكاما على هذه الملفوظات - لا يمكن أن تتخلص من التأثر بسياق ورودها. وإذا أردنا حقا - يقولهايمز (1974: 111و112) - بناء نظرية لغوية عامة، فيجب أن نأخذ بعين الاعتبار أن اللغة وضعت كي تُستعمل، وهي منظمة بطريقة تيسر تأدية هذا الغرض، ولا يمكن عزلها عن الأهداف التي تُستعمل من أجلها.

وإذا كان من المسلم به أن هناك قواعد تركيبية تراقب بعض المظاهر الصوتية، وأن هناك قواعد دلالية تراقب -إلى حد- بعض المظاهر التركيبية، فإن هناك أيضا قواعد الاستعمال التي تراقب البنية اللغوية في مجملها؛ إذ لا يمكن-على سبيل المثال- أن ندرك العلاقة القائمة بين وسائل التواصل المختلفة إلا انطلاقا من مستوى ليس هو الصِّواتة أو التركيب أو الدلالة، إنه مستوى أفعال الكلام الذي يشمل الوسائل غير اللفظية مثل حركات الجسد .

وبناءا عليه، لم يعد من الوارد أن نعادل بين القدرة وبين النحو (بمعناه الضيق)، أو أن نفهم النظرية اللسانية على أنها نظرية نحوية فقط. وبصفة أدق، لم يعد مقبولا أن يظل مجال النظرية اللسانية محصورا في الجملة وأن يظل ما عاداها على الهامش.

على هذا الأساس كان لزاما علينا الاستفتاح في هذا المقياس بهذه المحاضرة المتعلقة بجهود ديل هايمزاللسانية ، والتي تظهر مدى استيعاب تحليلاته الاجتماعية لطبيعة القضايا اللغوية من جهة الاستعمال والإنجاز ، ثم من جهة القدرة ووصفها بالتواصلية – بخلاف القدرة اللسانية – التي دون شك أثمرت فيما بعد بضرورة الاعتداد بها كمبدأ يقرّ به أصحاب النحو الوظيفي في نظرياتهم الموسعة والمتمثل في (وصف القدرة التواصلية بديلا أو مضافا للقدرة الذهنية المجردة للمتكلم/السامع) .

مصادر المحاضرة :

1/ فلوريان كولماس : دليل السوسيولسانيات – تر: خالد الأشهب وماجدولينالنهيبي – المنظمة العربية للترجمة – توزيع مركزدراسات الوحدة العربية – بيروت /2009

2/ عز الدين البوشيخي : مقال بعنوان " لسانيات النص في ضوء نظرية النحو الوظيفي الخطابي " بحث مقدم لمؤتمر " لسانيات النص وتحليل الخطاب " 22-24 مارس 2010 ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية . جامعة ابن زهر، أكادير. المغرب

3/ أحمد المتوكل : افاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي – منشورات كلية الآداب - الرباط -1993

المحاضرة الثانية :نظرية النحو الوظيفي بين التأسيس والتأصيل

تمهيد:

لا ينكر أحد من الدارسين اليوم أن جميع الاتجاهات اللسانيةالكبرى تقر بأن اللغة تقوم بوظائف كثيرة، و أهم هذه الوظائف على الإطلاق وظيفة التبليغ و التواصل، و لكن الذي نراه مهما في هذا الصدد هو التعريف الضابط للوظيفة من كونها " المهمة الموكولة إلى عنصر لساني بنيوي (طبقة آلية) للوصول إلى هدف في إطار التواصل البشري "[7]،أي ما يجعلنا ننظر إلى طبيعة المهام المسندة لعناصرها و التعامل معها كنسق تواصل ، الأمر الذي يعود بنا إلى أشهر التصانيف في هذا الاشتغال .

1/ رومان جاكبسون ووظائف اللّغة:

لقد وضع رومان جاكبسون (1896- 1982) نموذجا للتواصل اللغوي أراد من خلاله إبراز وظائف اللغة مستندا في ذلك إلى خلفياته الوظيفية و البنيوية و من علوم الاتصال فكان أنموذجه تواصليا بنيويا ، و حدد عناصر التواصل فيه بـ : المرسل ، المرسل إليه ، المرجع ، القناة ، النسق (الوضع) ، الرسالة .

ومن هذا التصور حدد مجموعة الوظائف المعروفة: الوظيفة الانفعالية (التعبيرية)، المرجعية (الإحالية)، التأثيرية (إقامة التواصل)، الشعرية، الندائية، الميتالغوية، تلقاه الناس في عصره بالقبول و الإعجاب ، و لكن بعد ذلك و في ظل ظهور نظريات السياق و التداول تبين أن هناك ثغرات ، فالنموذج المقترح يحتاج إلى تعديل و إعادة نظر و صارت هذه الوظائف غير مقنعة .

2/ نقد خطاطة الوظائف عند جاكبسون:

إنّ أهمّ ما قيل عن ذلك أنه بهذا الطّرح يتمّ التّعامل مع اللّغة بمعزل عن أغراض التخاطب، و أصبح من جملة ما قدَم من نقد لمشروع جاكبسون هو النقد المعرفي الموجه للبنيوية في عمومه، فمن ذلك اقتراح (روبول) في العدول عن تسمية (الوظيفة الانفعالية) بـ (الوظيفة التعبيرية) على أساس أن الانفعال أقل من التعبير فالتعبيريةأشمل من ذلك ، كما يرى من وجهة نظر أخرى أن (الوظيفة المرجعية) يجدر بها أن تكون (التسمية) لأن هناك بعض التعابير التي لا مرجعية لها [8] .

وغيره أيضا من النقود الموجهة كالذي كان من صميم رواد نظرية الأدبف " صحيح أن رومان جاكبسون قد عرض في مقاله المشهور (اللسانيات و الشعرية سنة 1963) الوظائف المختلفة للغة في إطار نظرية التواصل ، غير أنه لم يعر اهتماما كبيرا لدور القارئ في عملية التواصل ، سواء في صلب

---

[7] - ماريآن بافو – جورج إلياسرفاتي : النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية " – تر. محمد الراضي – مركز دراسات الوحدة العربية – ط1/ 2012 – ص : 202 .

[8] - عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية – دار الكتاب الجديد المتحدة – بيروت – ط1/ 2004 : ينظر تمهيد صاحب الكتاب : ص : (11- 14) .

النظرية أو في تحليله لنصوص الشعر ، لم يكن يثيره ما يمكن أن يلحق تأويل نص وتقويمه من تغييرات بسبب الظروف التاريخية المتغيرة "[9]، ومنه أيضا ما كان لنقد نموذج خطاطته الوظائفية ، ففي هاته الخطاطة " يمكن أن نؤاخذه على عدم تأمله في مقومات كافية ، و يحاول بعد ذلك تركيب الخطاطة حتى تصبح بطاقة أكثر استيعابا لمجال اهتمامها "[10].

3/ كارل بوبر والوظائف:

هناك من ناقش مسألة الوظيفة من جوانب تختص بعوالمه المختارة مثل (كارل بوبر)[11] الذي حصر الوظائف في : التعبيرية و الإشارية و الوصفية و الحجاجية .

تنطلق نظرة بوبر للوظيفة من نظريته الابستمولوجية لعوامل المعرفة الإنسانية " عالم الموضوعات الفيزيائية وعالم الأحوال الذهنية أو الاستعدادات السلوكية للفعل ، و عالم المحتويات الموضوعية للفكر ... و الهم الرئيسي هو تبرير وجود عالم ثالث للمعرفة الموضوعية ... و يتضمن هذا بيان كيف أن اللغة ذاتها قد تكون حاصلة على قناة بموجبها يصير المستوى البيولوجي للتطور قاعدة و أساسا لأسرع و أقوى أنواع التطور ، أعني تطور المعرفة ... و الجزء الجوهري من هذا التفسير يفترض أو يسلم بالتقدم من أدنى الوظائف إلى أعلاها في تطوير اللغة الإنسانية "[12].

بهذا التقديم لكارل بوبر فإن وظائف اللغة عنده تحتكم إلى تراتبية تتحدد وفق المخطط الآتي [13]:

- الوظيفة الحجاجية (استعمال اللغة لتقديم و تقويم الحجج و التفسيرات) .

⇧

- الوظيفة الوصفية (استعمال اللغة لوصف الأشياء الموجودة في العالم الخارجي) .

⇧

- الوظيفة الإشارية (استعمال اللغة لتبليغ الخبر و المعلومة عن الأحوال الداخلية لأفراد آخرين) .

⇧

- الوظيفة التعبيرية (استعمال لغة معبرة عن الأحوال الداخلية) .

لتصبح بذلك الوظيفة الحجاجية و هي أعلى الوظائف موجودة بالضرورة مع كل ما ينطوي تحتها من الوظائف، في حين لا يمكن التسليم بالعكس ، بينما عند إجابة بوبر عن إشكالية الانتقال أو القفزات

---

[9] - محمد العمرى : نظرية الأدب في القرن العشرين – دار إفريقيا الشرق / المغرب – ط2/ 2004 – ص : 32 .

[10] - ك .اوريكيوني : فعل القول من الذاتية في اللغة – تر: محمد نظيف – دار إفريقيا الشرق / المغرب ط1/ 2007 – ص : 18 .

[11] - جيوفريليتش : مبادئ التداولية . تر عبد القادر قنيني – ص : 68 – 69 .

[12] - المصدر نفسه – ص : 69 .

[13] - جيوفريليتش : مبادئ التداولية . تر عبد القادر قنيني – ص : 69 – 70 .

التطورية من مستوى أدنى إلى مستوى أعلى وضح ذلك بمثال : " كيف ينشأ طريق للحيوان في الغابة ؟ ... والسلوك التعبيري عند الوليد الحديث (الصراخ) " [14] .

إن تمييز بوبر بين هذه الوظائف هو من صميم نظريته الوظيفية التي تميز اللغة بوصفها مهارات تتعدى التعبير عن النفس أو مجرد وسيلة إشارية إلى ما أوسع من ذلكو هو تطوير الوعي و ربط اللغة بالخطاب، " فاللغة البشرية ليست مجرد تعبير عن النفسمجرد وسيلة إشارية فللحيوانات هاتان المهارتان أيضا، و لا هي مجرد مجموعة من الرموز، فهذه هي الأخرى – حتى الطقوس منها – موجودة لدى الحيوانات أيضا.

و مما انتقد فيه مشروع كارل بوبر عن نظريته و وظائف اللغة هو عدم اهتمامه باللغة ، و لكن عدم الاهتمام في حد ذاته له دلالته في فلسفة بوبر اللغوية فجدير بالذكر أن نعرف أن فلسفة بوبر تقوم على أساس يخالف الخط الوضعي و التحليلي و أن " ما يستحق الاهتمام هو وضع الفلسفة أمام مشكلاتها الحقيقية ، التي لا يمكن اختزالها و لا اختصارها في مشكلات لغوية أو في تحليل عبارات منطقية ... وأن فكرة البحث عن لغة دقيقةو صارمة و خالية من اللبس و الغموض فكرة وهمية "[15] ، بالإضافة إلى هذا فإن كارل بوبر نفسه أقر بعدم وصوله إلى المرحلة الجامعة المانعة في ثنايا مشروعه ، بينما اقترح (جيوفريليتش) توسيع عوالمه الثلاثة إلى عوالم أربعة مضيفا عالم الوقائع الاجتماعية أو ما يسميه (جون سيرل) عالم (الوقائع المؤسساتية)[16] .

مع ما قدمته هذه الرؤية للوظائف اللغوية إلا أننا نجد أنفسنا أمام محل التوسع و الإثارة فيها ، و هو ما كان تقديرا بالغا لصاحبها في معظم مشروعه ألا و هو (اللغة الحجاجية) لأنها معيار الصحة و التطابق و مبعث التجديد و الإبداع فـ " ابتكار اللغة البشرية الحجاجية قد مكننا من خطوة أخرى إلى الأمام ، من ابتكار جديد : ابتكار النقد ، ابتكار الاختيار الواعي ... ليس ثمة معرفة دون نقد عقلي ، نقد في خدمة البحث عن الحقيقة ، و أهمها المعرفة العلمية "[17].

4/ هاليداي ووظائف اللّغة:

ثم يأتي أيضا من يتصدى للبحث في وظائف اللغة، ليعالجها في ثلاثة وظائف أساسية، وهو اللساني (ما يكل هاليداي) وذلك من خلال:

-الوظيفة التمثيلية أو الصورية: و تعمل اللغة مؤدية لوظيفة التمثيل لما يعيشه المتكلم من واقع ، فهي كوسيلة لنقل و تأويل تجربة العالم سواء العالم الخارجي أو ذات المتكلم .

---

[14] -المصدر نفسه – ص : 70 .

[15] - الزواوي بغورة : الفلسفة و اللغة – ص : 95 .

[16] - جيوفريليتش : مبادئ التداولية : ينظر تفاصيل – ص : 71-74 .

[17] - الزواوي بغورة : الفلسفة و اللغة – ص : 100 .

- الوظيفة التعالقية أو ربط العلاقة بين الأشخاص: تقوم اللغة بوظيفة التعالق عندما تضطلع بدور التعبير عن المواقف الشخصية ، و التأثير في سلوك المخاطبين إذ تسهم في تركيب تجارب المتكلمين و معاملتهم مع واقعهم ، بالإضافة إلى ما تقدمه من إقامة للعلاقاتالاجتماعية عند التعبير عن الأدوار المنوطة بهم كدور السائل و المجيب ، والآمر و الناهي ، فتكون بذلك في صميم وظيفة التعالق .

- الوظيفة النصية أو التناصية: و هي الوظيفة التي تربط الخطاب بالطبقة المقامية التي ينجز فيها أو تؤدي وظيفة بناء النص ، فيكون لزاما على المخاطب التمييز بين ما هو نص ، و ما هو مجرد جمل متوالية ، أي البحث في علاقة (الاتساق) التي يستلزم وجودها كل خطاب متماسك .

و من هذه الوظيفة الأخيرة يأتي الكلام عن تخصيص هاليداي هيأة مخصوصة عرفها باسم (الوظيفة التمكينية) لاعتبارها أداة للوظيفتين الأخريين، الأمر الذي حمله به نُقاده التيه و الضلال في الاعتبار بهذا النسق ، تمثل ذلك في نقد (ليتش) له بـ :

- لا يمكن الاعتبار بأن الوظيفة التناصية وظيفة على الإطلاق ، لأنه لا يتأتى لنا أن نقول عن اللغة أنها تنقل ذاتها عن طريق النصوص إنما المفروض العكس ، " سأعترض على أنه بالرغم من أن التنظيم أو البنية التناصية للغة تلعب دورا هاما في عموم التقدير و الاعتبار الوظيفي للغة بوجه عام ، فمن الضلال أن نسمي الوظيفة التناصية " وظيفة " على الإطلاق ، لأن هذا قلب للحقيقة رأسا على عقب ، لقولنا أن اللغة وظيفتها إنتاج ما به تحقق ذاتها ، فليست وظيفة اللغة أن تنقل ذاتها عن طريق النصوص ، بل النصوص هي التي من وظيفتها أن تنقل اللغة "[18] .

- لا يمكن إدماج الوظائف الثلاثة كلها ضمن النحو، إنما يجدر بنا أن نجعل الوظيفة الصورية تنتمي إلى النحو، بينما الوظيفتان الأخريان تنتميان إلى التداولية .

و من هنا كان نقد (ليتش) لهاليداي بمثابة البحث على اقتراح أكثر مرونة في صياغة الوظائف الأساسية للغة ، و لقد كان اقتراح النموذج الوظيفي الذي اتخذه (ليتش) مبينا لكيفية مساهمة العناصر المتنوعة للنحو و الخطابة في أداء اللغة خدمة للسلوك المتجه لغاية ، فمع أن (ليتش) احتفظ بحدود و مسميات هاليداي في مشروعه الوظيفي إلا أنه عبر بالوظيفة عن معنى متجه الغاية مما لم يكن مستعملا بهذا الحد عند هاليداي إذ " بدل أن نقول مع هاليداي بأن للغة وظيفة تناصية ، يكون من الأفضل أن نقول بأن للنص وظيفة لسانية، هي وظيفة قائمة على توصيل المعلومات اللسانية "[19] .

مما تقدم يبدو أن ما عدَه هاليداي من وظائف مستقلة للغة سواء الصورية منهاأوالتعالقية أو التناصية إنما هي آيلة إلى وظيفة واحدة و هي (وظيفة التواصل)، وهو الاختزال الذي تبناه الباحث

---

[18] - جيوفريليتش : مبادئ التداولية – تر: عبد القادر قنيني – ص : 77 .

[19] - جيوفريليتش : المبادئ التداولية – ص : 82 .

(أحمد المتوكل) معضدا له بما ذهب إليه (سيمون ديك) في " اعتباره أن التواصل عملية ذات أبعاد مختلفة : بعد علاقي و بعد توجيهي و بعد إخباري و بعد تعبيري و بعد استثاري تتكامل كلها لتأدية وظيفة التواصل "[20] .

من هنا يمكن القول عن الوصف اللغوي عند الوظيفيين عموما إنما المراد به ههنا هو وصف معرفة المتكلم – السامع للغته أي قدرته اللغوية،و ليس الحديث في هذا الجزء مفضيا إلى بحث المقارنة بين نظرة الوظيفيين وغير الوظيفيين لهذه القدرة ، إنما مدار الأمر فيه إلى ما يستهدفه الوصف اللغوي عند الوظيفيين ، لذا سنجد أنفسنا أمام مشروع (سيمون ديك) في النحو الوظيفي و هو الذي يسوّغ لحديثه عن هذه القدرة بما يصطلح عليه بـ (الكفاءة التواصلية) ، وهو ما يستدعي محاضرة كاملة سنخصصها لمشروع هذا الأخير على اعتبار أن نظرية النحو الوظيفي أخذت نضجها معه ، بل استكملت ضوابطها التأسيسية ضمن جهوده .

مصادر المحاضرة :

1/ - ماريآن بافو – جورج إلياسرفاتي : النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية " – تر. محمد الراضي – مركز دراسات الوحدة العربية – ط1/ 2012 .

2/ - عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية – دار الكتاب الجديد المتحدة – بيروت – ط1/ 2004 : ينظر تمهيد صاحب الكتاب .

3/ - محمد العمرى : نظرية الأدب في القرن العشرين – دار إفريقيا الشرق / المغرب – ط2/ 2004 .

4/ - كـ . اوريكيوني : فعل القول من الذاتية في اللغة – تر : محمد نظيف – دار إفريقيا الشرق / المغرب ط1/ 2007 .

5/ - جيوفريليتش : مبادئ التداولية . تر عبد القادر قنيني – دار إفريقيا الشرق / المغرب ط1/ 2013.

6/ - الزواوي بغورة : الفلسفة و اللغة (نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة) /دار الطليعة – بيروت /2005 ..

7/ - أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية - مدخل نظري - دار الكتاب الجديد المتحدة – بيروت - 2010

[20] - أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية - مدخل نظري - ص : 56 .

المحاضرة الثالثة :بين الوظيفة والوظيفية

تمهيد :

والمقصود ههنا بنظرية النحو الوظيفي هو النحو الذي تمثّله جهود الباحث (سيمون ديك) المقترح سنة 1978 كمشروع يؤسّس للنحو و ينظم مكوناته، و ما عرض له الباحث أحمد المتوكل – كما ذكرنا سابقا - بتفصيل يغني عن العودة إلى غيره خاصة في كل ما قدّم و درس ، و ما هو من جملة ما يكتفي به الدارس في مثل هذه الأنحاء ، و باختصار يمكننا تقديم صياغة النموذج العام لهذا النحو و أهم المبادئ التي يعتمدها .

المبادئ الوظيفية[21]:

و هي بمثابة الأصول التي سنها (سيمون ديك) استقراء من الواقع التواصلي لبعض اللغات الطبيعية :

* أنالوظيفة الأساسيةللغات الطبيعية هي وظيفة التواصل و الإبلاغ .

* إن بنية اللغة ترتبط بوظيفتها ارتباطا يجعل البنية انعكاسا للوظيفة .

*إن النحو الأكفى (أي النحو المؤسس تداوليا) هو النحو الذي يسعى إلى تحقيق ثلاثة أنواع من الكفايات : الكفاية النفسية ، و الكفاية النمطية و الكفاية التداولية .

* إن موضوع الدرس اللساني هو وصف القدرة التواصلية للمتكلم - المخاطب .

وبهذه المبادئ الممثلة في حقيقتها لجملة موسَعة من المنطلقات و الإجراءات التي صاغها الباحث أحمد المتوكل[22]فيما يزيد عن ثلاثة عشر عنصرا كفيلا بأن يحدد الإطار العام للنموذج الوظيفي لـ (سيمون دك) إذ يتم بها اشتقاق الجملة عبر البنيات الثلاثة :

- البنية الحملية**الممثل فيها لـ:** الخصائص الدلالية .
- البنية الوظيفية **الممثل فيها لـ:** الخصائص الوظيفية .
- البنية المكونية**الممثل فيها لـ:**الخصائص الصرفية - التركيبية .

كما يتم بناء هذه البنيات الثلاثة بتطبيق ثلاثة أنساق من القواعد :

قواعد الأساس ، و قواعد إسناد الوظائف التركيبية و التداولية ، و قواعد التعبير.

---

[21] - د . مسعود صحراوي : مقال " من التنظير التداولي إلى التطبيق النحوي - علاقة البنية بالوظيفة في دلائل الإعجاز" ضمن مجموعة بحوث محكمة " التداوليات و تحليل الخطاب " - إشراف و تقديم : د / حافظ إسماعيلي علوي و زميله، دار كنوز المعرفة / الأردن - ط1/ 2014 - ص : 668 .

[22] - أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية : ص : 137 . 139 .

وبالعودة إلى ما سبق من تحديد للقدرة التي يبحثها النحو الوظيفي في نموذجه الموسع تأتي الإشارة إلى القدرة التواصلية التي مرت معنا مع هايمز وهي (وصف القدرة التواصلية) الأمر الذي يحيلنا مع سيمون ديك إلى التفكير في نحو وظيفي خطابي .

النحو الوظيفي الخطابي عند سيمون ديك :

وهنا تجدر الإشارة إلى – المقال السابق[23]- عندمادافع سيمون ديك في كتابه الأول (ديك 1978) عن أن القدرة التواصلية وليس القدرة النحوية هي الجهاز الذهني الذي يمكن المخلوقات البشرية من التواصل بينها بواسطة العبارات اللغوية. ولأن الملكة التواصلية أشمل من الملكة النحوية بل تحتويها، فإن نِتاجها هو العبارات اللغوية المستعملة في مقامات تواصلية معينة، وليس الجمل المجردة.

ومن أجل فهم بنية هذه الملكة ومكوناتها وطريقة عملها، من الضروري دراسة العبارات اللغوية التي تصدر عن هذه الملكة، ويستعملها المتكلم بصورة واقعية. ولذلك، أعلن ديك (1978: 15) منذ البداية أن النحو الوظيفي لا يمكن أن ينحصر في وصف بنية الجمل اللغوية.

وإذا كان ديك قد ركز في كتابه الأول على العبارات اللغوية البسيطة وخصص الكتاب الثاني للعبارات اللغوية المعقدة (1989 و1997)، فإن ذلك لا يقوم دليلا على اعتبار النحو الوظيفي نحو جملة، وذلك استنادا إلى المعطيات الآتية:

أولا. تتميز الأمثلة اللغوية التي يوردا ديك بميزتين على الأقل: تتمثل أولاهما في ارتباطها بمقامات تواصلية معينة تُجليها المظاهر التداولية المتعلقة بالقوة الإنجازية وبالوظيفتين التداوليتين المحور والبؤرة؛ حيث تضطلع القوة الإنجازية ببيان توجيه المتكلم لمضمون كلامه على سبيل الإخبار أو الاستفهام أو التعجب أو الإنكار أو الاستنكار أو الاستهزاء...، وحيث تضطلع الوظيفة التداولية المحور ببيان المعلومات التي يتقاسم كل من المتكلم والمخاطب معرفتها والواردة في العبارة اللغوية، وتضطلع الوظيفة التداولية البؤرة عموما ببيان المعلومات الجديدة التي يقدمها المتكلم لمخاطبه في مقام تواصلي معين.

وتتمثل ثانيتهما في إيراد أمثلة لغوية لها أرباض خارجية مثل:

1. يا أحمد، هل ما زلت على نية السفر؟
2. كتابك، قرأت نصفه.
3. قابلت أخاك، الشاعر.

[23]- عز الدين البوشيخي : المقال السابق " لسانيات النص في ضوء نظرية النحو الوظيفي الخطابي " .

وهي الأمثلة التي تعكس التفاعل القائم بين المتكلم والمخاطب في مقام تواصلي معين، كالعبارة اللغوية (1) التي ينتجها المتكلم بمكون المنادى الذي يلفت انتباه المخاطب إلى المتكلم، وكالعبارة اللغوية (2) التي ينتجها المتكلم بمكون المبتدإ الذي يحدد مجال الخطاب قبل إنتاج ما يتعلق به، وذلك لشد انتباه المخاطب إلى موضوع الخطاب، وكالعبارة اللغوية (3) التي ينتجها المتكلم بمكون الذيل لإحداث تغيير في المعلومات التي قدمها المتكلم إلى مخاطبه، موضحا أو مصححا أو معدلا.

ويدل ذلك على أن المعطيات اللغوية التي ينشغل بها اللساني معطيات مستمدة من مقامات تواصلية تُستعمل فيها، ومرتبطة بالتفاعل الكلامي القائم بين المتكلم والمخاطب لحظة إنتاجها. ولذلك، فالقول إن النحو الوظيفي انتقل من كونه نحو جملة إلى نحو خطاب ليس قولا دقيقا؛ لأنه لم يكن يوما نحو جملة كما بينا.

ومن الدلائل الإضافية أن رصد الأدوار التي تقوم بها الوظائف التداولية المحور والبؤرة بخاصة في سيرورة الخطاب وتماسكه أدى بصورة طبيعية إلى الانشغال بنصوص سردية وحوارية وغيرها، كما دعا إلى ذلك ديك (1989) ومحصه مكنزي وكيزر (1990) وقام به المتوكل (1993). وأصبح واضحا أن مستعملي اللغة لا يتقيدون بإنتاج جمل لغوية في تفاعلهم الكلامي، وإنما ينتجون بنيات لغوية أكبر وأعقد، كما صرح بذلك ديك في الفصل الذي عقده للحديث عن نحو وظيفي للخطاب (ديك 1997ب).

في نقد المبادئ الوظيفية:

و الذي تجدر الإشارة إليه هو عزوف الكثير من الدارسين المعاصرين المهتمين بالحقول الوظيفية عن مسألة هامة و في غاية الضرورة و هي " عدم التكافؤ الوظيفي بين هذه المبادئ ، إن من جهة القيمة النظرية ، و إن من جهة البعد الوظيفي و إن من جهة الإجراء التحليلي العملي ، كما أنها ليست ذات طبيعة واحدة ، فبعضها عبارة عن منطلقات مبدئية ، كالمبدأ الأول المتعلق بالوظيفة الأساسية للغات الطبيعية ، و بعضها عبارة عن غايات يسعى الوصف اللغوي إلى تحقيقها ، قد يصل إليها و قد لا يصل إليها إطلاقا ، كالمبدأ الثالث المتعلق بالكفايات الثلاث ... و بعضها مجرد سمة تمييزية موضوعية ... كالمبدأ الرابع "[24].

أما عن التصور القاضي بتبني الكفاية النفسية من حيث هي إحدى مباحث النحو الأكفى بالإضافة إلى الكفاية النمطية والكفاية التداولية ، فإن ديك يتبنى الرأي الذي يرى من خلاله مخالفة تشومسكي من جهة القدرة اللغوية والواقعية النفسية الملائمة ، إذ يتأسس النقد ههنا عند سيمون ديك ف " لقد اعتمد تشومسكي الجمل المجردة معطياته الأساس التي تدله على مكونات الملكة

[24] - مسعود صحراوي : مقال بعنوان :" من التنظير التداولي إلى التطبيق النحوي – علاقة البنية بالوظيفة في دلائل الإعجاز " ضمن مجموعة بحوث مختلفة – التداوليات وتحليل الخطاب – دار كنوز المعرفة / الأردن -2014 . ص : 669 .

النحوية وبنيتها وطريقة عملها. إلا أن النماذج النحوية التي أقامها لتمثيل هذه الملكة لم تحقق مطلب الواقعية النفسية، فاضطر إلى القول إن "مسألة الواقعية النفسية ليست، من حيث المبدإ، أكثر أو أقل حساسية من مسألة الواقعية الفيزيائية للبناءات النظرية التي يقيمها الفيزيائي" (تشومسكي 1980ب:192). ومعنى ذلك أن الواقعية النفسية ليست شيئا آخر غير التفسيرات التي يقيمها اللساني للظواهر اللغوية، وأن النحو الذي يرقى إلى الواقعية النفسية هو النحو الذي يساهم في تفسير هذه الظواهر والأحكام اللغوية ، ومن الجلِيّ أن هذا التأويل لمفهوم الواقعية النفسية سَجَّل تراجع تشومسكي عن أعظم طموحاته العلمية؛ ذلك لأن هذا التأويل لا يسمح على نحو صحيح ودقيق بالمفاضلة بين الأنحاء على أساس الواقعية النفسية ما دامت الأوصاف اللغوية المبررة لسانيا لا يُشترط فيها أن تُماثل الأوصاف اللغوية القائمة في ذهن المتكلم أو في ملكته اللغوية. وهو تأويل يُفرغ افتراض القدرة من مضمونه، ولا يؤكد الدور الذي ينبغي أن يقوم به النحو في أي نموذج معقول لمستعملي اللغات الطبيعية، حسب بريزنن وكابلن (1982)" [25].

على هذا الأساس يمكننا القول بأن ديك " اشترط في النحو الذي يحقق الكفاية النفسية أن لا يتعارض مع الفرضيات النفسية القوية القائمة حول معالجة اللغة، وأن يكون قادرا على الاندماج بصورة طبيعية في أي نموذج معقول لمستعملي اللغات الطبيعية.

ويُعد السعي في تحقيق الكفاية النفسية من أهم العوامل التي أدت إلى ظهور النحو الوظيفي الخِطابي. ويتمثل ذلك في المظاهر الثلاثة الآتية:

أ . مطابقة مراحل إنتاج الكلام وفق نماذج الإدراك.

ب . الفصل بين مستويي الدلالة والتداول، وإيلاء الأسبقية لتمثيل للمعلومات التداولية.

ج . التزام الواقعية في تحديد المعطيات اللغوية المتمثلة في الأفعال الخطابية.

... كما تمت صياغة هذا النحو بصورة تجعله وفيا لمبدإ الوظيفية القاضي بأسبقية التمثيل للمعلومات التداولية على غيرها من المعلومات، وتجعله نحوا مؤسسا تداوليا حقا. حيث يشرف التداول على الدلالة، ويشرف كل من التداول والدلالة على التركيب، ويشرف كل من التداول والدلالة والتركيب على الصواتة. فالانطلاق في إنتاج الفعل الخطابي يتم من المستوى العلاقي حيث يمثل للمعلومات التداولية، وهو أول مستوى في بنية النحو الوظيفي الخطابي، ثم يُنتقل بعد ذلك إلى المستوى التمثيلي حيث يُمثل للمعلومات الدلالية.

[25]- عز الدين البوشيخي : المقال السابق .

والنحو الوظيفي الخطابي يكون بذلك قد حسم النقاش الدائر بين اللسانيين في نظرية النحو الوظيفي، والمتعلق بمحل التمثيل للمعلومات التداولية : أ في مستوى واحد حيث يمثل للمعلومات الدلالية ويمثل للمعلومات التداولية أيضا، أم في قالب تداولي مستقل؟.

ومن مظاهر قوة هذا النحو أن الفصل بين المستوى التداولي وبين المستوى الدلالي مكن من تميز المعلومات التداولية من المعلومات الدلالية وتفادي الخلط بينهما في التمثيل من جهة، ومكن من جهة أخرى من القدرة على معالجة أفعال خطابية تقوم بوظيفتها التواصلية إلا أنها فارغة دلاليا ... وإذا كان من السابق لأوانه الحكم ببلوغ هذا النحو درجة عالية في معيار الكفاية النفسية، فإنه من الواضح اقترابه الشديد من واقع المتكلم الفعلي؛ وذلك بأن حدد معطياته اللغوية في الأفعال الخطابية أيا كان تحققها كلمة أو مركبا أو جملة بسيطة ومركبة أو نصبا أو حوارا أو غير ذلك. والأفعال الخطابية هي في الواقع ما ينتجه المتكلم في تواصله مع الآخرين، ولا يتقيد بإنتاج نمط معين من أشكال التعبير كالجملة أو النص أو غيرهما. ومن هذه الزاوية، يكون نحو الوظيفي الخطابي متقدما على غيره من الأنحاء المماثلة" [26].

مصادر المحاضرة :

1/ د . مسعود صحراوي : مقال " من التنظير التداولي إلى التطبيق النحوي - علاقة البنية بالوظيفة في دلائل الإعجاز" ضمن مجموعة بحوث محكمة " التداوليات و تحليل الخطاب " - إشراف و تقديم : د / حافظ إسماعيلي علوي و زميله، دار كنوز المعرفة / الأردن - ط1/ 2014 .

2/ أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية .

3/ عز الدين البوشيخي : المقال السابق " لسانيات النص في ضوء نظرية النحو الوظيفي الخطابي " .

[26]- عز الدين البوشيخي : المقال السابق .

المحاضرة الرابعة :موضوع البحث في حقل نظرية النحو الوظيفي .

تمهيد :

في ظل الحديث عن " الوظيفية " و أهم مبادئها و المفاهيم التي أسست لها جدير بنا أن نأتي بالمقابلة بينها وبين الصورية أو غير الوظيفية من النظريات، و هو صميم العمل الذي يجعل الفارق بين نظرة الوظيفيين للغة تختلف عن نظرة الصوريين لها ، سواء تعلق الأمر بـ : الوظيفة ، أو بناء الأنحاء .

ليس الاعتداد بمثل هذه المقابلة بين الوظيفية والصورية على أنهما متناقضتان و لكن على أنهما مقاربتان لسانيتان مرتبطتان ارتباطا وثيقا حسب طبيعة اللغة، فالتمايز بينهما يسوغ لنا أن نبحث فيما تأتلفان و فيما تختلفان .

1/ موضوع الوظيفية في مقابل الصورية :

و هو في مجمله مجموعة من الوجوه[27] :

- وجوه الائتلاف:

*أن موضوع جميع النظريات اللسانية هو اللسان الطبيعي.

*ليس همَ هذه النظريات وصف الظاهرة اللغوية فقط، بل محاولة تفسيرها .

*هدف هذه النظريات بحث ما يجمع اللغات الطبيعية من خصائص مشتركة أي البحث في (النحو الكلي) ثم في الأنحاء الفرعية الخاصة لوصف كل لغة.

*هدفها أيضا وصف قدرة المتكلم المفضية إلى الإنجازات في مواقف تواصلية معينة أي تصوغ أنحاء (قدرة) لا أنحاء (إنجازات).

*تفرد جميع هذه النظريات مستويات متفاوتة للتمثيل (للجوانب التركيبية و الدلالية و التداولية) .

- وجوه الاختلاف :

* <u>بالنسبة للغة</u> :

- في النظريات غير الوظيفية نسق مجرد أهم وظيفة يؤديها التعبير عن الفكر .

- في النظريات الوظيفية اللغة وسيلة للتواصل الاجتماعي ، أي نسق رمزي أهم وظيفة يؤديها التواصل

* <u>بالنسبة لخصائص العبارات اللغوية</u> : لا يمكن رصد هذه الخصائص إلا إذا ربطت بنية اللغة بوظيفة التواصل ، أي لابد من مراعاة سياقات الاستعمال بالنسبة للوظيفيين ، بينما عند غير الوظيفيين من السائغ أن يتم وصف خصائص العبارات اللغوية بمعزل عن سياقات استعمالها .

---

[27] - أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية – مدخل نظري – دار الكتاب الجديد المتحدة / بيروت – ط2/ 2010 – ص 14 -16 .

* بالنسبة للقدرة : عند الوظيفيين القدرة قدرة تواصلية لأنها معرفة المتكلم للقواعد المفضية إلى تحقيق أغراض تواصلية ، أما عند غير الوظيفيين فهي معرفته للقواعد اللغوية (الصرف) [تركيبية + دلالية + صوتية] .

* تعلم اللغة عند الطفل: عند غير الوظيفيين بحسب ما فطر عليه من مبادئ ، أما عند الوظيفيين فبحسب العلاقات القائمة بين الأغراض التواصلية و الوسائل اللغوية .

* بالنسبة للكليات اللغوية : في نظر غير الوظيفيين كليات صورية ، أما في نظر الوظيفيين فهي كليات صورية – وظيفية .

و بهذا يمكن أن نقول أن مدار الأمر كله في الفرق بين نظرة الوظيفيين للغة و غير الوظيفيين لها يكمن في " أنها نظام ذاتي الاستقلال عند الصوريين في حين يدرسها الوظيفيون في علاقته بالوظيفة المجتمعية "[28]، و على كل يجب مراعاة زاوية النظر عند كل واحد منها، فالذي يوجبه الاعتبار المتزن للغة يفضي بنا إلى النظر الداخلي لها من خلال وصف و تفسير خصائص اللسان الصورية ممثلة في (التركيبية و الصرفية و الصوتية)، ثم إلى النظر الخارجي من خلال البحث في نتائج التفاعل القائم بين المعنى و الاستعمال.

2/ الوظيفة :

لا ينكر أحد من الدارسين اليوم أن جميع الاتجاهات اللسانيةالكبرى تقر بأن اللغة تقوم بوظائف كثيرة ، و أهم هذه الوظائف على الإطلاق وظيفة التبليغ و التواصل ، و لكن الذي نراه مهما في هذا الصدد هو التعريف الضابط للوظيفة من كونها " المهمة الموكولة إلى عنصر لساني بنيوي (طبقة آلية) للوصول إلى هدف في إطار التواصل البشري "[29] ،أي ما يجعلنا ننظر إلى طبيعة المهام المسندة لعناصرها و التعامل معها كنسق تواصل ، الأمر الذي يعود بنا إلى أشهر التصانيف في هذا الاشتغال (وقد مرّ معنا في محاضرة سابقة جهود رومان جاكبسون ، كارل بوبر ، مايكل هاليداي) وأهم ماكان من نظرياتهم عن الوظائف وما استجلبتها من نقود .

أما بناء الأنحاء فيمكن أن ندرج لذلك محاضرات مستقلة ، خاصة منها ما يتأسس على الأنحاء المدمجة لمكونات تداولية ، وهي ما نعتد بها في الأساس ضمن زمرة الأنحاء الوظيفية .

3/ بناء الأنحاء :

---

[28] - جيوفريليتش : " مبادئ التداولية – " تر : عبد القادر قنيني – دار إفريقيا الشرق / المغرب ط1/ 2013 – ص : 65 .

[29] - ماري آن بافو – جورج إلياسرفاتي : النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية " – تر . محمد الراضي – مركز دراسات الوحدة العربية – ط1/ 2012 – ص : 202 .

يأتي سياق الحديث عن بناء الأنحاء كفارق بين الصوريين و الوظيفيين عندما نسلم بأن الاختلاف بين النظرتين لبنية النحو مرده إلى بحث كيفية بناء الجهاز الواصف للغة ، و كيفية تنظيم العلاقات بين أجزائه ، و أهم ما نعتبره نموذجا مفضيا إلى معرفة هذه (الأنحاء الوظيفية) هو ذلك الذي يتضمن مستوى قائم الذات في بحثه عن الخصائص التداولية لأنه الوحيد الذي يستطيع تمديد البنية التركيبية الصرفية للجملة ، و لنا أن نمثل لذلك بما يأتي :

- أنحاء ناتجة عن إدماج مكون تداولي (وظيفي)
- أنحاء وظيفية .

1-3 : أنحاء ناتجة عن إدماج مكون تداولي (وظيفي) :

و نمثل لهذه الأنحاء بنموذجين بسيطين يعدان الأساس في إسهام الجوانب التداولية في تحديد البنية التركيبية الصرفية لجمل اللغات الطبيعية ، أي ما من شأنه أن يكون مثبتا لعدم استقلال التركيب بالنظر إلى الدلالة و التداول[30] .

- النموذج الأول :البراغمانتاكس (الدلالة التوليدية) :

و يقوم هذا النموذج على مبدأين أساسيين هما :

* عدم استقلال التركيب بالنسبة للدلالة .
* الطبيعة الدلالية للبنية مصدر اشتقاق .

و بهذا يصاغ النحو انطلاقا من هذين المبدأين كالآتي : " تشكل مصدرا لاشتقاق الجملة بنية منطقية – دلالية مصوغة طبقا لمنطق المحمولات ، تتضمن محمولا (فعليا أو اسميا أو وصفيا ....) يربط بين عدد من الموضوعات ... إذ تعد المحمولات في هذا النموذج وحدات معجمية مركبة ، يتعين التمثيل لها في البنية المنطقية الدلالية في شكل وحدات دلالية أولى "[31] .

- النموذج الثاني: التركيبيات الوظيفية :

و هو النموذج الثاني المقترح ضمن الأنحاء الوظيفية الساعية إلى تحليل البنية اللغوية في إطارها التواصلي ، إذ يعدها أصحابها " أحد حقول اللسانيات الوظيفية حيث تحلل البنيات التركيبية على أساس وظائفها التواصلية "[32] .

و من هنا يرى (كونو) أن " التركيبيات الوظيفية ليست مرتبطة بنحو بعينه لأن أي نحو يجب أن يفرد مستوى أو مستويات للقيود الوظيفية الضابطة لسلامة الجمل ، أو لسلامة السلاسل الجملية

---

[30] - أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية : ص : 101 .

[31] - أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية : ص : 101 . 102 .

[32] - أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية : ص : 113 نقلا عن : - (functionalSyntax - 1980) : kuno,S

كما أن كل نحو يفيد من استخدام المنظور الوظيفي في تحليل الظواهر التركيبية "[33] ،أي يمكننا أن نعتبر النموذج المقترح هو عبارة عن بناء فسيح يدمج فيه كل ما له علاقة من أنساق أو قيود تفضي إلى وظيفة التواصل ، مما يتيح لمقترحه أن يورد مفاهيم عديدة تضبط القيود التي تخضع لها بعض القواعد التركيبية ، من هذه المفاهيم[34] :

* المعلومة القديمة : يحمل عنصر ما من عناصر الجملة المعلومة القديمة إذا كان واردا في السياق السابق .

* المعلومة الجديدة : يحمل عنصر ما من عناصر الجملة المعلومة الجديدة إذا لم يكن واردا في السياق السابق .

*المحور : يشكل محورا العنصر محط الحديث في الجملة .

*البؤرة : يشكل بؤرة في جملة ما العنصر الحامل للمعلومة الأجد .

و من هنا ، يمكننا القول بأن هذين النموذجين المقترحين يعدّان كنحوين يندرجان ضمن النظرية التوليدية التحويلية من وجهة وظيفية تتكفل التمثيل للخصائص التداولية في تحديد البنية اللغوية ، و التي تجمعهما نقاط اشتراك أهمها محاولة إدماج مكون تداولي (وظيفي) .

2-3 : أنحاء وظيفية :

إن جملة الأنحاء المشار إليها في هذا الجزء من المحاضرة هي ما عبَر عنها المؤلف بأنها " أنحاء مصوغة بدءا انطلاقا من منظور وظيفي معين "[35] .

و يأتي في مقدمتها :

- **أ/ الوجهة الوظيفية للجملة :**

تتحدد الوجهة الوظيفية للجملة من خلال المستويات المقترحة لتحليلها ، و هي : المستوى الدلالي ، و المستوى النحوي و المستوى الوظيفي ، إذ في المستوى الدلالي تتضمن الجملة (حدثا) و (مشاركين) ، و من أهم المشاركين (المنفَذ) و (المتقبَل) ، ثم تعد هذه المكونات الأساسية الثلاثة (المنفذ) و (المتقبل) و (الحدث) فاعلا و مفعولا وفعلا على التوالي في المستوى النحوي ، أما في المستوى الوظيفي فتتضمن الجملة مكونين أساسيين هما : المكون المحور و المكون التعليق[36] .

يمكننا أن نمثل لذلك بالشكل الآتي : (ماري تضرب بيتر)[37]

---

[33] - المصدر نفسه : ص : 114 .

[34] - المصدر نفسه : ص : 114 .

[35] - أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية : ص : 116 .

[36] - لقد أشار المؤلف في ظل حديثه عن هذه المرحلة من الدراسة (دراسة الوجهة الوظيفية للجملة) إلى تاريخها من خلال ما قدمه الألمان في القرن الماضي ثم أفكار تشكسلوفاكيين فيما بعد بما قدمه ماثيزيوس و دانيش و فيرباس فيما بعد – ينظر تفصيل ذلك في " اللسانيات الوظيفية – مدخل نظري – من ص : 117 إلى 121 " .

[37] - أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية : ص : 117 - 118 .

مستويات التحليل للجملة :

- المستوى الدلالي : - المنفَذ : ماري
- الحدث : تضرب
- المتقبل (الهدف) : بيتر
- المستوى النحوي : - فاعل : ماري
- فعل : تضرب
- مفعول : بيتر
- المستوى الوظيفي : - المحور : الدال على ما شكّل محط الحديث (المنفذ ، الفاعل)
- التعليق : الدال على ما يشكل الحديث ذاته (الحدث و المتقبل أو الفعل و المفعول) .

كما يضيف (فيرباس) في هذا المستوى من التحليل (المستوى الوظيفي) مفهوما يفضي إلى مدى إسهام مكونات الجملة في تقدم التواصل و تطوره ، ألا و هو مفهوم " الحركة التبليغية " كما يقترح (دانيش) في هذا المستوى تعريفا على أساس (المحور و التعليق) ، إذ يرى كل منهما [38]

- في نظر دانيش :

المحور : أ / المكون الذي يشكل موضوع الحديث .

ب / يحمل المعلومة المتقاسمة بين المتخاطبين أي التي يمكن استمدادها من السياق

التعليق : أ / الحامل للمعلومة الجديدة .

ب / الحامل لنبر الجملة .

- في نظر فيرباس :

المحور : المكون الآخذ لأدنى درجات الحركة التبليغية .

التعليق : المكون الآخذ لأعلى درجات الحركة التبليغية .

- **ب/ النحو النسقي :**

يأتي الحديث عن هذا النموذج فيما أشار إليه هاليداي في الوظائف الأساسية للغة و الممثلة بالوظيفة التمثيلية (الصورية) و الوظيفة التعالقية و الوظيفة النصية أو التناصية ، و هي الوظائف التي يراها هاليداي من صميم النحو عنده إذ تعد من داخله فهي تنعكس لأنساق تطابقها على مستوى اللغة ، و هو الأمر الذي حدا به أن يجعل من هذه الأنساق وسائل لتأدية هذه الوظائف إذ " يطابق

[38] - ينظر تفاصيل أكثر: المصدر نفسه : من : 119 إلى 121 .

نسق التعدية الوظيفية التمثيلية ، و يطابق نسق الصيغة و المحور الوظيفيين التعالقية و النصية بالتوالي "[39] .

و من خلال إدراجنا للمثال الذي قدّمه الباحث أحمد المتوكل يمكننا الاكتفاء بالبنية الثالثة له ، إذ بالنظر إلى المثال (فتح خالد الباب البارحة بالمفتاح) [40] نجد :

نسق التعدية	فتح	خالد	الباب	البارحة بالمفتاح	
نسق الصيغة	حدث	منفَذ	متقبل	زمان	أداة
نسق المحور	صيغة	قضـية			
	محمول	فاعل	فُضلة	توابع	
		محور	تعليـق		
	معـطى	جـديـد			

و بهذا علينا أن نعود إلى فكرة جوهرية ساقت هذا النوع من الأنحاء إلى ساحة الدراسات الوظيفية ، فلا شك أن ما طوره هاليداي من مباحثه عن السياق في ظل حديثه عن الترابط اللغوي (الاتساق) هو من مشكاة واحدة ، إذ يحرص على ما نتوسل به من خلال هذه الأنساق و العناصر اللغوية ، لا يعني بالضرورة تمثيل هذه الوظائف بقدر ما يكون تمثيلا للسياق الاجتماعي الذي يفضي بمستعمل الخطاب إلى تأدية معانيه .

فالأمر عنده لا يتعلق بما يمكن أن نعده انعكاسا للسيرورة الاجتماعية أو التعبير عنها إنما " [حاصل] التمفصل بين المعطيات الاجتماعية و الصور اللسانية يتم بفضل ما يطلق عليه هاليداي الميتا - وظائف (فكرية ، بيشخصية ، نصية) ، و الميتا - وظائف بالنسبة إليه هي محاولة نظرية لإدراك العلاقة بين الصور الداخلية للسان واستعمالاتها ضمن سياقات الحياة الاجتماعية " [41] .

- **ج/ التركيب الوظيفي :**

و هو النحو الذي أشار إليه المتوكل مستندا فيه إلى ما قدمه (فان فالين و فوكي) عندما اقترحا الأبنية الثلاثة المنتجة للجملة ، و التي تتأسس عبر ثلاثة أنساق من القواعد ، حيث :

---

[39] - أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية : ص : 122 .

[40] - أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية : ص : 124 .

[41] - ماري آن بافو - جورجإلياسرفاتي : " النظريات اللسانية الكبرى " تر: محمد الراضي : ص : 228.

- البنية الدلالية ← (تضطلع بـ) قواعد دلالية .
- البنية التداولية ← (تضطلع بـ) قواعد تداولية .
- البنية (صرفية - تركيبية) ← (تضطلع بـ) قواعد صرفية - تركيبية .

و من التفاعل بين هذه القواعد الثلاثة يتضح أن " البنية الصرفية التركيبية في هذا النحو ناتجة عن التفاعل بين أنساق القواعد الثلاثة ، ... بتعبير آخر لا يعد التركيب ... مكونا مستقلا بل إنه على العكس من ذلك مكون يدخل في تفاعل مع المكونين الآخرين (الدلالي و التداولي) لإنتاج البنية الصرفية التركيبية "[42]، ثم رابع هذه الأنحاء وهو (النحو الوظيفي) ممثلا في مشروع سيون ديك ، وقد مر معنا في المحاضرة السابقة .

مصادر المحاضرة :

2/ أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية – مدخل نظري

3/ جيوفريليتش : " مبادئ التداولية – " تر: عبد القادر قنيني .

4/ ماري آن بافو – جورج إلياسرفاتي : النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية " – تر. محمد الراضي .

[42] - أحمد المتوكل . اللسانيات الوظيفية : ص : 126 ، كما ينظر تفاصيل هذا النحو من الأنحاء ضمن المصدر نفسه (ص : 126 . 136) .